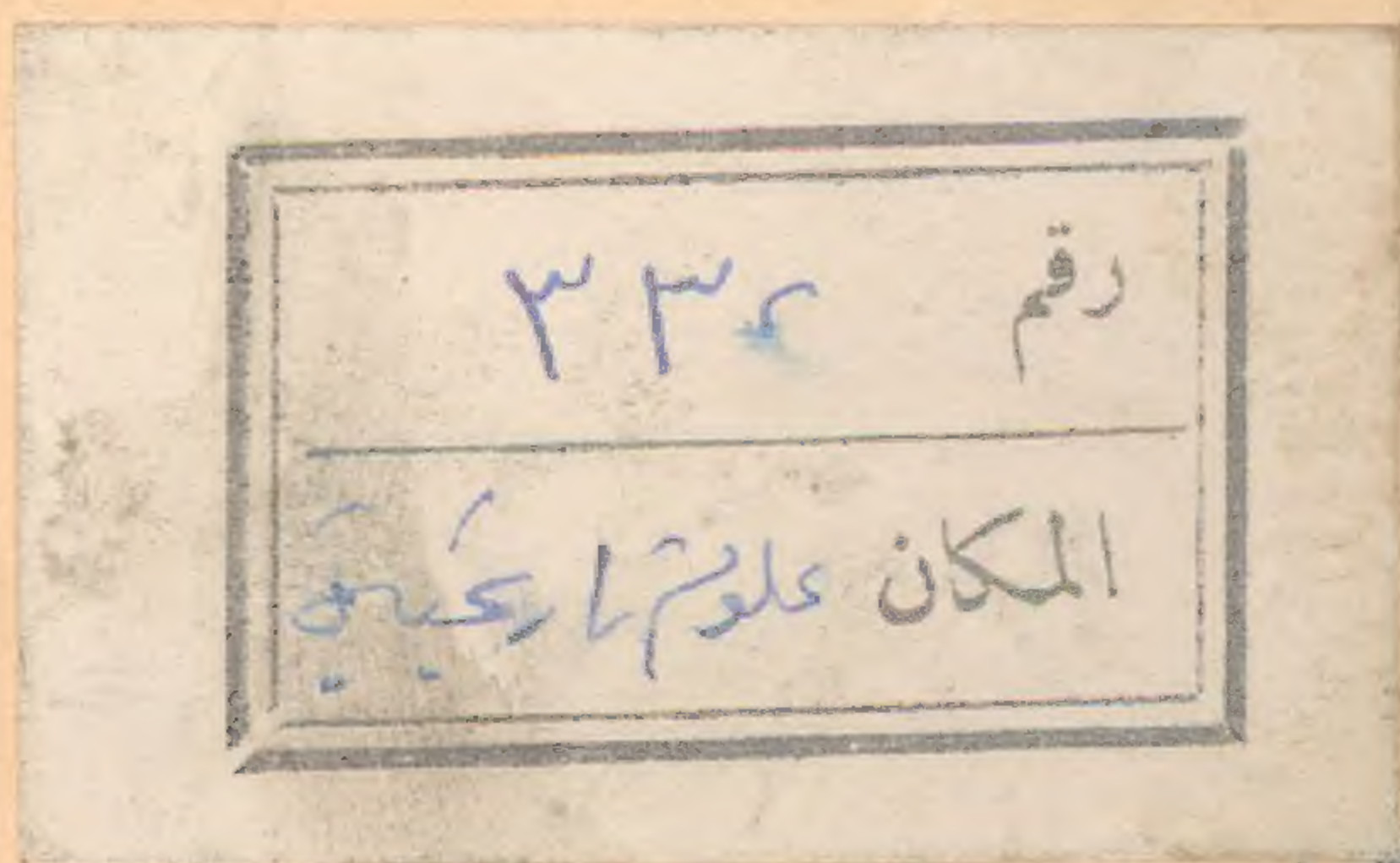


إخترنا  
للجندى



# الفضاء

أصفروندائى مصرى



بقلم  
محمود بن الشريف







اخترنا للجندي

# الفقاعى

أصغر فناءى مصرى





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

في الصفحات التالية خطوط تمثل شخصية الفدائي الصغير « عبد الستار آدم الفقاعي » شخصية فدائي عربي ، بل أصغر فدائي من محافظة بني سويف .

كان نموذجا للنضال الفردي النيل ، ورمزا لكفاح خطط له بمفرده ، ووضع - وحده - ركاوزه ، وقام بتنفيذه فذاً من غير أن يشترك معه أحد أو يعينه معين .

فكر . . . وقدر ، ثم صمم وتنفذ ، من غير أن يعلم أحد صليبه . . . تحصن بالصمت ، وأحاط خطته بسياج من كتمان ، فإن قُدر له ولها النجاح كان له ولقومه الغنم ، وإلا فيكفيه أن يكون هو وحده الضحية ، من غير أن ينال قومه مكروه ، أو يصاب مواطنيه رذاذ من أذى .

تحمل التبعة وحده . . . وكان يقدر ما سيقدم عليه . . .

كان يعلم أن دوره استعاري ، فإما الصدر ، وإما القبر .

ذلك الدور الذي لولا أن أرّخه المؤرخون الأجانب ، وسجله الكتاب الفرنسيون الذين رافقوا الحملة الفرنسية ، وأرخوا لها من واقع

حوادث الحملة وأحداثها لحسبه البعض أسطورة نسجت خيوطها يد المغالاة ،  
وصنعت حوادثها روح العصبية . . غير أن الحق ما شهدت به الأعداء .  
دور لم يكن أمام التاريخ مندوحة من أن يسجله ، ولم يكن أمام كتاب  
الحملة الفرنسية على مصر ومؤرخيها إلا أن يشيدوا بالموقف البطولي . .  
وأن يسطروا — مشدوهين — هذا الدور الرائع الذي قام به «الفقاعى»  
على مسرح البطولة الصادقة والوطنية الحقة

وحق لنا ونحن نمجّد كفاحنا الشعبي ، ونكشف لأبنائنا ولجيلنا عن  
أبطالنا في ذلك الميدان ونجّلو شخصيات المكافحين الشعبيين — حق لنا  
أن نذكر عبد الستار الفقاعى بعد أن كادت يد النسيان والإهمال في الماضى  
تطمس معالم نضالنا الشعبي وتحاول تغطيته أو تشويهه وتمويهه ! !  
ولئن كان فات الرعيل الأول من المسؤولين تقدير البطولة وتمجيد  
الفدائية ، فإن للمسؤولين اليوم والقرواين على أمر الشعب في كل مجال —  
وهم من أبناء الشعب — لا يملكون إلا إحياء ذكراه ، وتمجيد بطولته ،  
وتخليد شخصيته ، لتكون نبراساً يهّدى ويرشد ، وتكون مثلاً أعلى  
يحتذىه نابتة العرب في كل مكان ، ولا سيما في هذه الأقطار العربية التي  
ما زالت تجالد المستعمرين ، والتي تحاول جاهدة أن تحطم قيود الاستعمار ،  
لتنشق العير .. عير الحرية والاستقلال بفضل أبطالها وفدائيتها ..

من أجل الحرية ..

من أجل التضحية ..

من أجل الفدائية ..

من أجل ذلك كانت هذه الصفحات ، ومعها تحية تقدير لروح أصغر  
فدائى أنجبه وادى النيل .

محمود بن الشريف



خوذات حربية تلمع تحت أشعة الشمس . . تحملها رءوس جنود لم يعرفوا الغاية التي يتجهون إليها . . ولا يعلمون إلا شيئاً واحداً فحسب ، وهو أنهم متجهون إلى قتال . . قتال فحسب !

قتال من ؟ وأين ؟ فكل ذلك كان من الأسرار المحجبة عنهم . . وحركة دائمة دائبة في ميناء طولون الفرنسي . . معدات حربية . . ومدافع ثقيلة ، وذخيرة حية . . وبنادق وقنابل ، وموّن وأطعمة ، يحمل كل هذا أسطول فرنسي لم يكن يعلم قبلته واتجاهه إلا نابليون قائده ، وخلصاؤه الذين معه .

وفي البحر للتوسط تراءى أمام نواظر الجنود من بعيد ثغر الإسكندرية وظن الجنود أن الإسكندرية ستكون لقمة سهلة سائغة يزدردونها بسهولة كما ازدردوا في سهولة ويسر — جزيرة مالطة التي خلفوها وراءهم وهم في طريقهم إلى مصر . .

وبقدر ما أسكرتهم نشوة النصر الحاطف والظفر السريع في « مالطة » بقدر ما كانت مرارة كأس المقاومة التي تجرعوها من أهالي الثغر ، فما كاد الفرنسيون يضعون أقدامهم في الإسكندرية حتى بدأت مقاومة الأهالي لهم ، وتزعّم المقاومة « السيد محمد كريم » وتحصن بقلعة « قايتباي » حتى تقدم ما في القلعة من ذخيرة . .

ولما توغل الفرنسيون داخل المدينة قابلهم أهلها بقتال شديد في المنازل وفي الطرقات ، وفي الشوارع والأزقة ، وفي كل شبر من أرض الإسكندرية . .

وانطلقت رصاصة كادت تضع خاتمة الفشل لهذه الحملة الأجنبية ، انطلقت من بندقية سيدة مصرية ، ومرقت بجانب « نابليون » إلا أنها لم تصب منه مقتلاً ! !

ولما لم تجد المقاومة الإيجابية ؛ لكثرة عدد العدو وعدته ، لجأ الأهالي إلى المقاومة السلبية ، فلم يتعاونوا مع جنود الاحتلال ، ولم يتعاملوا معهم .. وفي الطريق إلى القاهرة ، حيث الصحراء الرهيبة الواسعة ، أخذ البدو يهاجمون الجنود نهاراً ويتخطفونهم ليلاً . .

وفي القاهرة جابهتهم ثورات . . وفورات

ثورات لم تخفها القوة . . ولم يرهبها البطش . .

وفورات تحدث الفناء . . لم يسكتها صوت مدفع ، ولم يثدها طلقات مسعورة تنخرج مدوية من فوهات آلاف البنادق والمدافع والقنابل المبيدة المحرقة . .

ففي أكتوبر سنة ١٧٩٨ م ثارت القاهرة ثورتها العارمة الأولى ، وتكفل أهلها ، واتجهت جموعهم إلى الجامع الأزهر الشريف ، حيث عبأت خطب العلماء قوى الجماهير ، وشجنت طاقاتهم بشحنات من حماسة اتجهت بهم — في صدق وإيمان — إلى جهاد مرير . . كان من نتائجه أن قتل حاكم القاهرة الفرنسي ، وقتل معه مئات من جنود الفرنسيين . . وكان من نتائجه أيضاً أن ضرب نابليون حي الأزهر بالمدافع ، وأهدر



حرمة بيت الله حينا وطئت منابك خيله أرجاء ذلك المسجد العتيق العتيق ،  
ليقضى على مصدر القوة ومبعث المقاومة الشعبية :

\*\*\*

وقد ماجت كتب التاريخ بصور بطولية متعددة نابضة بالإيمان تنبئ  
عن مدى ما كان يجيش في نفوس علمائنا آتخذ من فورة وقوة حتى  
المكفوفين منهم كان لهم دورهم النضالي في هذا المجال وفي كتاب « صور  
من البطولة الإسلامية » يرسم لنا مؤلفه الأستاذ فهمي عبد اللطيف  
صورة مضيئة لبطل مكفوف من علماء مصر في ذلك الحين وكان اسمه  
الشيخ سليمان الجوسقي ، يقول عنه في ص ٧٦ « . . فرغ الشيخ سليمان  
الجوسقي من صلاة الفجر في الجامع الأزهر على عادته في كل يوم ،  
ولكنه في ذلك اليوم كان يبدو على غير عادته بين إخوانه وطلابه ، فهو  
ساهم واجم يستغرقه تفكير عميق ثقيل ، وهو في تفكيره منصرف عن  
كل شيء من حوله ، حتى كان إخوانه يتلقونه بتحية الصباح فلا يجيبهم ،  
وكان طلابه يكبون على يده يقبلونها فيلقها إليهم في إغفال واستسلام ،  
كأنه لا يبالي شيئا من أمرهم .

ومضى الشيخ الجوسقي إلى حلقة الدرس ، وهو على هذه الحال ،  
ساهم واجم ، مستغرق في ذلك التفكير العميق الثقيل ، ولقد أخذ مكانه  
في حلقة الدرس ، والطلاب يحفون به منصتين ، ولكنه جلس صامتاً  
واجماً لم يتكلم بكلمة ، ولم يعنه أن يسأل الطلاب فيما حققوا من مسائل  
الدرس ، أو صادفوا من مصاعبه ، كشأنه معهم في كل يوم .

وما كان الشيخ الجوسقي هكذا أبداً ، ولا عرف طلابه عنه هذه  
الحال في يوم من الأيام ، فقد كان شيخاً مكيفاً ، يتولى شئون طائفة



العميان والتدريس لهم في الأزهر ، ولكنه لم يكن يرى في تلك المحنة حداً يعوقه عن أى شأن من شئون الحياة ، فكان معروفًا بين إخوانه بقوة الشكيمة والصرامة في الحق ، يحرص كل الحرص على مصالح طائفته ، وي بذل كل الجهد لاستخلاص حقوقهم ، ولو أدى ذلك إلى الاعتماد على القوة ، والالتحام في المعركة ، وكان إلى جانب هذا متفتح النفس ، يهش للدعابة ، ويطيب له التبسط في الحديث مع طلابه ومريديه ، ويعنيه أن يتحقق بنفسه شئونهم العامة ، ومسائلهم الخاصة ، ومن ثم كان طلابه يخشونه أشد الخشية ويحبونه أعظم الحب ، وكان إذا ما أقبل على الدرس في كل يوم بعد الصلاة الأولى أقبلوا عليه ، فيفضون إليه بما في قلوبهم ، ويسمعون منه ما يشير به عليهم ، ثم يفرغون معه لدرس التفسير في كتاب الله الكريم ، ولا يزالون حتى ترتفع الشمس ، ثم ينصرفون للاستعداد لدرس آخر .

ولكن الشيخ أقبل على طلابه في ذلك اليوم ، وهو على تلك الحال التي لم يألفوها منه ، ولم يعرفوها عنه ، وأشفق الطلاب أن يكون قد نزل بشيخهم مكروه في نفسه ، أو في أسرته ، فقال قائل منهم :

— لا بأس على مولانا الشيخ فيما نرى ؛ فقد فات موعد الدرس وهو منصرف عنا !!

قال الشيخ في صوت محتبس أجش :

كيف وهذا هو الباس يأخذ بنواصينا وأقدامنا ، وهذا هو الكرب يشد على خناقنا شداً عنيفاً ، فليس لنا منه متففس ، وفيكم أنتم وهذا الدرس ؟ ! وما هو إلا كلام تلو كونه بألستكم ، ولكنكم لا تحسونه



بقلوبكم ، ولا تعرفون فيه حق دينكم ، وهل حسبتم أن الإسلام هو تلك الكلمات التي ترددونها وتناقشونها ثم تنصرفون بها إلى الناس وكأنها تجارة كلامية حسبكم من الربح فيها تلك الفضلات التي تقيم أودكم ، وتمسك رمقكم ، إذن ، فيأضيعة الإسلام فيكم ، ويا خسارته بكم ، ولست أدري أهى نهاية الزمان ، أم أن الله مقيض لهذا الأمر من ينهض به ، ويبعثه بعثاً جديداً في عقول هذه الأمة وقلوبها ؟ !

قال الطالب : وهل عرف شيخنا على أحد منا سوءاً في دينه ، أو تفریطاً في حق من حقوقه ؟ .

قال الشيخ : وماذا بقي هناك من حقوق دينكم ؟ وأى أثر لذلك في نفوسكم ؟ لقد جل الخطب حتى أوشك ألا يبقى من هذا الدين بقية تتصل بأرواحكم . هؤلاء هم الفرنسيون الكفار قد وطأوا بلادكم . ثم انتهبوا دوركم وأموالكم ، ثم انتهكوا حرمانكم وأعراضكم ، وهما هم أولاء فيما عرفت يعمدون إلى تغيير نظام المواريث في دينكم ، فيجعلون حق الإرث كله للبنات ، وليس للولد منه شيء كما هو شرعهم ، ومتى بطل جزء من الشريعة فإنها جميعها لا بد صائرة إلى المسخ والزوال ، وإنكم لصائرون غداً أرقاء في خدمة هؤلاء الفرنسيين الكفار وبكم تكون نهاية هذا الدين وزوال الملة . .

وسرت بين الطلاب هممة وغممة ، وارتفعت الصيحات استنكاراً لتلك النازلة الساحقة التي حلت بالمسلمين في دارهم . . ووقف بعض الطلاب يتكلمون ، فمنهم من يلقي اللوم على أولئك الممالك الجبناء الذين فروا من مواجهة العدو وتركوا الشعب يحترق في أتون المعركة . . ومنهم من يعتب



على دولة بنى عثمان التي تركت الفرنسيين يصلون إلى فتح البلاد ، وإهانة الإسلام . . . ومنهم من يسب الحائنين والمارقين من أبناء الطوائف الدخيلة على البلاد ، لأنهم تعاونوا مع العدو ومكنوه من رقاب الشعب ، ومنهم من يقول : إنه غضب الله على المسلمين جزاء ما فرطوا في دينهم ، وضعوا من حقوق ملتهم ..

وعاد الشيخ الجوسقي يتكلم فقال : حسبكم يا أبناءى هذا الضجيج على غير طائل ، إنا اليوم لسنا في مقام توزيع التبعات ، وليس من الحكمة أن ترك السفينة تهوى إلى القاع ونحن مشغولون بمعرفة الملوم في هذه الكارثة !! وإنما الواجب أن نفرغ لدفع الكارثة التي حلت بنا ، ثم نصفي أمورنا إذا بقي لنا أمر بعد ذلك ! ! فحرام عليكم طعامكم وشرايبكم . . . وحرام عليكم أن تقيموا على الضيم في وطنكم ، وأن تجلسوا في هذا للكان باسم الإسلام . والفرنسيون يصنعون بإسلامكم ما شاءوا أن يصنعوا ..

قال قائل منهم : وماذا في طاقتنا أن نصنع إزاء حرب الفرنسيين ، وقد حرمتنا نعمة البصر ، فما ندرى إلى أين نسير ؟ ، والله يقول : « ليس على الأعمى حرج » ..

ولم يكد الطالب يتم قوله ، حتى انفجر الشيخ كالبركان قائلاً : نعم ، لا حرج عليكم فيما هو من مشئونكم الخاصة ، ولكنكم اليوم إزاء كارثة حلت بدار الإسلام ، وإنها لآخذة برقابكم جميعاً ، والله يقول : « إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » فانصرفوا إلى الناس في دورهم ، وحيث هم في أعمالهم ، وتفرقوا على أبواب الطرقات



والحارات ، وقولوا لكل من لقيتم إنكم اليوم بين شقي الرحى ، وإن  
الفرنسيين قد استباحوا حرمانكم وأهانوا شرفكم ، ونهبوا أموالكم ،  
وبدلوا دينكم ، فلا عزة لكم بين الأمم ، ولا كرامة لكم عند ربكم إذا  
ما رضيت بهذا الأمر فيكم ..

ووقف الشيخ في اتعمال وثورة : والله ما قام هذا الدين إلا بالجهاد ،  
ولا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء الشهداء ، ولقد خاض رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الحرب حتى شج وجهه وكسرت رباعيته ، وفي سبيل  
الله استشهد سادتنا من الصحابة والتابعين ، فلعنة الله علينا إن كنا من  
القاعدين بعد اليوم ... ثم اندفع الشيخ واندفع معه طلابه إلى الخارج  
وهم يصيحون : إلى الجهاد والاستشهاد .. إلى الموت في سبيل الله ..  
وكانت الثورة ..

كانت الشمس ترتفع للضعى .. وكانت القاهرة تبدو هامة واجمة  
تحت وطأة ذلك الكابوس الفرنسى الذى جثم على قلبها فجأة .. وكان  
الناس يغدون ويروحون ، وهم لا يدرون من أمرهم شيئاً لليوم أو للغد ،  
فما هى إلا ساعات من نهار . حتى كانت القاهرة تغل كالرجل ، وكان  
الناس يقفون فيها على قدم وساق متوثبين متحفزين لأمر له مابعده ،  
فقد تفرق شيوخ الأزهر وطلابهم على أبواب الطرق ، وتغلغلوا في  
الحارات والأزقة بحى الأزهر والحسنية ، وراحوا يتحدثون إلى الناس  
في شأن هؤلاء الفرنسيين الذين استعمروا بلادهم ونهبوا أموالهم !  
واستباحوا حرمانهم ، وأخذوا يذكرونهم بحق الدين في الجهاد والاستشهاد  
وكانها كانت الشرارة قد اندلعت في المشيم ، فإذا بالجموع تتداعى من



كل ناحية ، والصيحات ترتفع من كل جانب : إلى الجهاد .. إلى الاستشهاد  
النصر للنصر .. النصر للعرب .. النصر للإسلام .

ووصل الخبر إلى السلطات الفرنسية ، فركب الضابط « ديوى » على  
رأس قوة كبيرة من الفرسان والجنود ، ومر بشارع الثغورية ، وعطف  
على خط الصناديق .. ثم قصد بيت القاضي فوجد جموعاً كبيرة من  
المصريين ، وهم يصيحون ويتوعدون ، فتراجع أمامهم ، وأراد أن يخرج  
من بين القصرين ولكنهم أدركوه ، والتحموا به في معركة عنيفة  
أسفرت عن جرح « ديوى » بجراح بالغة ، وقتل أكثر جنوده وفرسانه  
ولم يفلت القائد الفرنسى من براثنهم إلا بأعجوبة .. وأيقن أبناء القاهرة  
أن هذه المعركة ليست إلا بداية موقف حاسم بينهم وبين الفرنسيين ،  
وأخذوا من وقتهم يستعدون لهذا الموقف فربطت الجموع عند الأطراف  
وعلى مداخل القاهرة عند باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة وباب  
الشعرية وأقاموا المتاريس فى كل مكان مفتوح للهجوم ، وأخرجوا  
ما عندهم من السلاح والذخيرة وباتوا الليل ساهرين .

وأصبح الصباح .. وكانت القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها فوق  
تلال القلعة ، وهى مستعدة بالعتاد الكامل والمدافع الثقيلة ، ثم أخذت  
تقصف القاهرة بالقنابل ، وركزت الضرب على حى الأزهر بصفة خاصة  
وتساقطت القنابل على الدور وفوق السكان ، ولم يكن دوى القنابل  
مألوفاً لعامة الشعب ، فساد بينهم الفرع والرعب ، ولكن المرابطين على  
المتاريس وقفوا ثابتين ، يدافعون فى شجاعة وعناد ، وأمضت القاهرة ليلة  
مظلمة لم تعهد لها من قبل ، فما كنت تسمع فى وسط ذلك الظلام الحانق



الرهيب إلا دوى القنابل وهى تتساقط فى كل مكان . . وإلا صيحات  
المجاهدين والمدافعين وهى تتجاوب بالثبات والإقدام .. وطال الوقت  
والفرقان يتبادلان الرمى والضرب .. وأرسل الفرنسيون إلى شيوخ  
الأزهر أكثر من مرة لعلهم يتدخلون ل تهدئة الثورة ، ولكن المواطنين  
أصروا على الكفاح إلى آخر رفق من حياتهم .

واستمرت المعركة دائرة يومين وليلة .. وتساقط القتلى من الجانبين  
فى الشوارع والطرق ، وتهدمت الدور فى كثير من المواقع ، وبقي  
المواطنون فى أماكنهم صامدين ، يناضلون ويدافعون ، حتى فرغت الذخيرة  
منهم ، فتوقفوا عن الضرب والرمى .. وانفتحت الأبواب أمام الفرنسيين  
فانحدروا إلى القاهرة بخيلهم ورجلهم وهم يمعنون فى الأهالى العزل قتلًا  
وفتكًا .. وعاثوا فى حى الأزهر جميعه فساداً ، ثم اقتحموا الجامع الأزهر  
بخيولهم .. واستباح أولئك الذين جاءوا يبشرون فى الشرق بمبادئ  
الثورة الفرنسية استباحوا ذلك الحرم المقدس فربطوا فيه خيولهم ،  
وشربوا فيه الخمر ، وعاثوا بكل مافيه من المصاحف والكتب والخزائن  
فساداً واتلافاً ثم مزقوها وداسوها بنعالهم .. !!

وأصبح الصباح فى اليوم التالى . . وكانت القوات الفرنسية كلها قد  
بجمعت فى حى الأزهر وفى جميع الأحياء التى أعلنت الثورة . . وأخذوا  
ينهبون الدور ويعيثون عن السلاح فى كل مكان . ثم أخذوا يبحثون عن  
الشيوخ الذين تزعموا الثورة فاعتقلوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة  
العميان . والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ،



والشيخ يوسف الصليحي ، والشيخ اسماعيل البراوي وحبسوهم في بيت  
البكري بعض الوقت ، ثم تناولوهم في الأغلال إلى القلعة .

وقصد الشيخ السادات ، ومعه بعض كبار المشايخ بالأزهر إلى القائد  
الفرنسي ، وطلبوا منه العفو عن الشيوخ المعتقلين ، فأمرهم بعض الوقت  
وفي كل يوم كانوا يذهبون إليه متشفعين ، فيمهلهم حتى يستقر الأمن .  
وبعد خمسة عشر يوماً انكشفت الحقيقة عن جرم الاستعماريين ، فقد  
وجدت جثث الشيوخ الخمسة مطروحة وراء سور القلعة ، بعد أن قتلهم  
الفرنسيون ، ومثلوا بهم أشنع تمثيل ؛ ذلك لأنهم ارتكبوا أشنع جرم  
في حق أبناء المدينة الفرنسية فطالبوا بحق أمتهم في الحرية والحياة .



وما كان للقاهريين أن يرضوا الاستعمار ، وقيموا على ذله وضيجه .  
فلم يمنعهم فشل ثورتهم الأولى أن يقوموا بثورة أخرى على رأسها الثائر  
المصري « عمر مكرم » الذي أقام للتاريس .. وحفر الخنادق .. وتفقد  
للمصانع . مصانع القذائف المصرية التي أنشأها المصريون ، وقدموا لها  
وقود كل ما قدروا على جمعه آتت من نحاس وحديد وذهب ومعدن .  
واستمرت المقاومة عاتية عنيفة قرابة شهرين ..

ثم بدأت قوتها في الضمور والاضمحلال حينما بدأت الذخيرة المصرية  
تقل ، وحينما قصرت طاقات مصانعنا البدائية السريعة عن أن تمد يد الثورة  
بالسلاح وبالذخيرة اللذين هما عصب كل مقاومة ..

ولم يكن بد آتت أمام الثوار القاهريين من التسليم !! بعد أن تهدمت



البيوت واستشهدت مئات النفوس ، وقوضت الأحياء قنابل الفرنسيين الذين لم يراعوا في قتالهم أبسط مبادئ الشرف والإنسانية ..



وانجحت فرقة فرنسية بقيادة الجنرال « ديزيه » إلى الصعيد ، لإخضاع بقية البلاد المصرية ، ولطاردة فلول المالك في الوجهة القبلى ، ولتفتيت قوى المقاومة الشعبية .

وسارت بقيادة ديزيه إلى بنى سويف فى ١٦ من ديسمبر سنة ١٧٩٨ وكادت قواته تباد وتسحق لولا قوة المدفعية الفرنسية .. ولقى الفرنسيون مقاومة فى كل مكان .. لم تستسلم أية قرية إلا بعد مقاومة ومدافعة . . وظل أهالى بنى سويف شوكة فى جنب الفرنسيين بعد احتلالهم للمدينة ، كتب الجنرال « ديفو » أحد القواد الذين رافقوا الحملة وسجل أحداثها ومراحلها فى مذكرات قال فيها : « إننا فى حملتنا على الصعيد استهدفنا لأخطار كثيرة كبيرة .. كلما دخلنا بلدة أسرع أهالها يحملون السلاح لناهضتنا ومقاومتنا ، وأخذوا يشعروننا بجميع الطرق بما يكون لنا من كراهية بالغة » .

وسجل التاريخ أن « ديزيه » ترك بعض رجاله فى بنى سويف واتجه فى حملته نيلية إلى أسيوط ، فهجم الثوار من بنى سويف على مخازن الفرنسيين واستولوا على ما وجدوه فيها فاضطر نابليون إلى عزل الحاكم الفرنسى وعين آخر مكانه ..

ومضى مسيرة عدة كيلومترات من بنى سويف تقع قرية « الفقاعى » (١)

---

(١) وهى قرية من قرى مركز بيا بمحافظة بنى سويف .

حيث كتبت على أرضها أروع قصة فداء قام بها حدث من أهلها لم يبلغ  
الثالثة عشرة من عمره .. كتبها بدمه وقوة إرادته وتحمله .. ومطرها  
بجراته وعزمته ونفسيته التي لا تلين .. ورواها التاريخ رمزاً لومضة  
فدائية لمعت في قوة وسرعة على أرض البطولة المصرية .

وتقدمها اليوم نبراساً يسير على هداة نابتة العرب وناشئة المصريين  
الذين نعدم لتعمل تبعات ثقال تفرضها عليهم هذه الآونة التي يمرون بها ..  
آونة زراعة الرجال .. وبناء النفوس .. وتسليح الأفتدة .. وتربية  
العزائم .. وتوجيهها الوجهة المثالية الصالحة التي تسير بها قدماً نحو الغاية  
والأهداف البتغاة لها .

وكانت قصة بهرت يطلوها هؤلاء الغزاة الفرنسيين الذين قدموا من  
أوروبا يحلون باستعباد شعب مصر واستنزاف دمه واستغلال موارده ...

وفرض عليهم ذلك البطل الصغير أن يعترفوا بشجاعته ، وأن يتحدثوا  
عنها في هذه الكتب الفرنسية التي أرخت هذه الحقبة التي قضوها في ربوع  
القطر المصري وعلى ضفاف وادي النيل تظللهم راية الإرهاب ، ويحميهم  
سيف الغلبة والبطش والعدوان !!

فاعترف الجنرال « بليار » الفرنسي الذي رافق الحملة وسجل شجاعة  
هذا الفدائي المصري ، وتنبأ له بمستقبل مرموق إذا ما عني بتربيته  
وتوجيهه .

كما روى « فيفان دينو » قصة هذا الفتى المصري في رحلته التي ألف  
عنها كتاباً أسماه « رحلة في الوجه البحري ومصر العليا أثناء حرب



بونابرت . وبعد أن رسم هذه القصة بأسلوبه ، رسمها بعد ذلك وصورها بريشته في لوحة سجاها في صفحة ٣٧٣ من هذا الكتاب . .

إن أرضاً أنجبت ذلك الفدائي الصغير لن يستريح حماها دخیل . .

إن أرضاً أنجبت ذلك الفدائي الصغير لن تسمح لمعتد أن يتنسم هواءها أو يستظل بسماؤها أو تهیء له مقاماً ينعم فيه بفرض سطوته وغشمه وسلطانه ، بل تجعل له في ثراها رسماً تهیل علیه تراها الطاهر تدفن تحته الرجس والاعتداء ، والظلم والجبروت . .

وبالقرب من قرية « الفقاعی » عسكرت فرقة من جنود الفرنسيين ، وضربت خيامها فوق الأرض الخضراء وداست بأقدامها الدنسة النجسة نبات الأرض الزكية الطاهرة فأحالتها بعد سويعات أرضاً جرداء تضج بما عليها ومن عليها من دخیل غاصب . .

وأقام الفرنسيون حول مخيمهم نطاقاً من حراس غلاظ شداد ، شاهري أسلحتهم ، يطلقون قذائفهم على كل من يقترب من معسكرهم من إنسان أو حيوان ! !

ومر على الفرقة يوم وبعض يوم ظنت خلاله أنها انتصرت ، بعد أن رأت الهدوء يلف القرية ، وما كان لأهالی « الفقاعی » أن يصبروا على هذا الضيم ، وأن يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء هؤلاء المعتصين . . وما كان لهم أن يصبروا ، وهم الذين تفيض نفوسهم عزة وإباء وحماسة وشمماً . . وهبط الليل . . وتحت أستاره تجمع أهالی « الفقاعی » على مصطبة متآكلة تضم شيوخاً وشباناً . . الشيوخ بتجاربهم . . والشباب بعزائمهم وقواهم . .

وأتمروا يقلبون وجوه الرأى .. والكلمات تنطلق من أفواههم  
كالقذائف سريعة متوهجة ، تعبر عما يجيش في صدورهم من غليان وتحرق ،  
للملاقاة الأعداء وسحقهم وإبادتهم .

كانت القرية — ككل قرى القطر المصرى آنذاك — تعيش في  
أوهام وظلمات صنعها الدخلاء والحكام الأجانب الذين كانوا يحكمون  
مصر يومئذ .

كان الحكام الأتراك في ذاك الوقت قد جردوا الشعب من السلاح  
وللدافع والقذائف والطلقات النارية ، وجعلوها وقفاً عليهم وعلى حراسهم  
وحراسهم وجنودهم المرتزقة الذين كانوا يجلبونهم من شتى البقاع ليعمومهم  
من غضب الشعب المصرى ومن انتقام الأهالى وللواطنين .

ولم تعرف القرى شكل السلاح ولا نوعه ، فضلا عن استعماله  
والتدريب عليه !!

وللمصرى إن تجرد في ذاك الوقت من المعدات الحربية وأدوات  
الطعن وآلات القتال والضرب إلا أنه لم يتجرد من عزمه القوى وحماسته  
المتأججة في أعماقه ، ورغبته الصادقة العارمة التى تفعل الأعاجيب إذا  
مادوى النفسير ، أو نادى منادى الجهاد ، عزيمة عارمة ضارية  
كالإعصار المبيد الجارف لا يوقف في طريقها شيء ، وحماسة تجرف الغشم  
وتبيد الطغاة ، وتطيح الدخيل المغتصب ..

وصاح شاب مقتول الذراعين متين البناء :

— الواحد منا بعشرة من صنف هذا الأجنبي الرخو ، الذى إن



تجرد من سلاحه أطلق ساقيه للريح ، أو خر على قدميه يذرف دموع  
المذلة والاستعطاف .

وعقب عليه ثان :

— إنها فرقة كاملة بعددها ومعداتها ، ولو كان الأمر أمر مجابهة ولقاء  
فرد بفرد لمزقناهم شر ممزق ، ولأبقيناهم أثراً بعد عين . إلا أنهم يحملون  
سلاحاً جديداً فاتكاً مبيداً لم تتدرب عليه ، بل لا نعرف كيفية استعماله .  
ووسائلنا في الدفاع بدائية ، فماذا تنفع العصي الغلاظ أو الفئوس الحادة  
أو السيوف القواطع أمام طلقات رشاشة وتجاه قذائف تحصد الأرواح  
في لحظة !!

وقال شيخ علي وجهه آيات الصرامة والعزم :

— إنا لا نرضى الدنية . . ولا نرضى أن تمس عروبتنا وعقيدتنا ،  
وإن شرفنا ليأبى أن تعكره تصرفات هؤلاء الغريبيين الحق ، الذين  
لا يعترفون بخلق ولا شرف ولا ضمير . . لا نرضى أن تفتح عيون أبنائنا  
في مطلع كل صباح على رؤية هؤلاء . . . !! ولا نرضى أن تكون  
نساؤنا نهياً لنواظرهم ، فضلاً عن أن دماءنا التي تنفوس في عروقنا تأبى  
بعد ذلك كله أن تسكت على غاصب يستعمر أية ذرة في بلدنا ، فلا بد  
أن يجلو الغاصب وأن يرحل ، لا عن أرض القرية فحسب ، بل عن  
أرض مصر كلها . .

وصاح صائح :

إن الموقف يتطلب العمل ، والعمل الحاسم السريع .

وأجابه آخر :

العين بصيرة واليد قصيرة ، فماذا تفعل ؟

أمعنى ذلك نستكين إلى العدو ونرضى أن يحطم قوانا ويهين مقدساتنا ، ونحن نجتزأ لامنا فحسب ؟ !

ما كان لعربي أن يتباطأ أو يتنحى عن القيام بدوره في أحلك ساعات المعركة » إن ماضينا يشهد كيف قاومنا جيوشا من الغزاة كانت تفوقنا عدداً وعتاداً وعدة . . وكيف انتصرنا عليها بروحنا وإيماننا وبحقنا في العيش الحر والحياة الكريمة ، إننا الشعب منذ القدم حرب ضروس فانية تبيد كل من يعادينا ، أو تسول له نفسه انتهاك حمانا .

لو كان الأمر أمر فرد إزاء فرد ، أو مجموعة في مقابلة مجموعة . . لو كان الأمر أمر سيف في مقابلة سيف أو في مقابلة سيوف لكتب لنا إيماننا وحماسنا الغلبة عليهم . . ولكن الكثرة الكثيرة التي لا سلاح معها لا نستطيع اليوم مقاومة قلة تفوقها عدة وسلاحاً ! !

وماذا تجدى الكثرة أمام سلاح حديث فأتك مييد ؟ ! إن الفئوس لا تستطيع مجابهة المتفجرات ، إن الحماسة المتفجرة من أعماقنا إن لم تعززها العدة فلن تصمد شيئاً أمام منجل القذائف .  
إذن لا مفر لنا من أن نقابل القوة بالقوة . .

ولكن كيف ؟

وساد صمت عميق ، ونظر فتي صغير اسمه « عبد الستار » إلى وجوه القوم يتأمل ويتصفح ، شاهد الأسى على الوجوه ، وكاد يسمع



غليان القلوب وهى تضطرم وتفور ، وسمع والده « آدم الفقاعى » يصيح  
فى غيظ مكبوت :

لو كان معى ما أستطيع ملاقة العدو به لأذقته النون . . لو معى  
بندقية واحدة لحصدت بها عشرات من أرواح هؤلاء الكفرة الفجرة . .  
وانقض الجمع بعد أن قابوا وجوه الرأى ، آملين أن تكون مع الغداة  
بارقة أمل ، بعد أن أسقط فى أيديهم ، وبعد أن تقطعت بهم الأسباب ،  
وبعد أن لم يكن فى مكنتهم إيجاد حل إيجابى سريع يجابهون به  
الموقف الطارىء . .

وانصرف آدم الفقاعى . . ومن خلفه ابنه عبد الستار يسيران فى  
صمت إلى البيت ، يلفهما ظلام رقيق ما لبث أن انقشع تحت نور القمر  
الساطع فى تلك الليلة القمرية . .

كان كل منهما يفكر وهو ماض فى طريقه . . الأب يفكر لعل  
تفكيره يهديه إلى تحقيق رغبته والحصول على أمنيته ، فيتسلع ببندقية  
أو بقذيفة . . أية بندقية . . أو أية قذيفة مهما كان نوعها ! ! وكان الولد  
بدوره يفكر . . يفكر فيما سمعه منذ هنيهة من والده . .

وطرقت قلبه طرقة عنيقا ولأكثر من مرة عبارة والده ورددها  
ضميره ، لو معى بندقية واحدة لحصدت بها عشرات من أرواح هؤلاء  
الكفرة الفجرة . .

واقتربا من المنزل . . ودخل الوالد . . ومن ورائه فتانا الصغير ، ونفسه  
تحدثه بأن يتراجع وأن يمتنع عن الدخول ، وأن يتعلل لوالده بأية علة

أو يعتذر بأي عذر . . ولكنه خشي ألا يقبل والده عذره ، فلم يكن أمامه إلا الدخول . ودخل على مريض ، واستقبل بقية ليله بقلق . . وكيف يجمع وقومه في مأزق ؟ وقلبه في وجيب . . ووالده في يأس وترقب وغضب ؟

وتقلب في مضجعه ساهرا مسهد العين محموم الفكر . .

وانقضت فترة نهض بعدها واقفا . . وفي خفة وحذر كان خارج للنزل وتلقفه الطريق وحيدا إلا من فكرة . . فكرة راودت ذهنه ، وسرعان ما عقد عزمه عليها ، تجربة انتحارية . . خطتها وحده ، وهو ساهر الجفن قلق النفس . خطة لمعت في ذهنه وهو يتعمل في مضجعه ، تصميم على تحقيقها .

وماذا تراود الصبي من أفكار إلا أفكار ماذجة صيانية . . إلا إذا كان الصبي من طراز يخالف لداته عقلا وإرادة وعزما وتصميما ، ورغبة أفق وحدة ذكاء . .

سار عبد الستار في خطوات محومة سريعة ، وكأنه يجمع أفكاره ويضمها في حرص محاولا إخفاءها حتى لا يكشف سرها أحد . .

سار تحت ضوء القمر البازغ ، وتحت لفحات من رياح أمسيات شهر ديسمبر الباردة للوخزة المؤلمة التي تلسع الوجه وتهز الجسد .

ولكن أين هو ذاهب في هذا الوقت المتأخر؟ وما هي وجهته؟ . . وما لبث أن تريت . . ثم توقف حينما وقع بصره على معسكر الفرنسيين هادئا هدوء القبور ، وقد انتشرت بداخله خيام متفاربة ، يقبع



بداخلها جنود آمنوا فناموا ملء الجفون ، معتقدين أن الأعزل من السلاح لا يستطيع المقاومة ، وأن الشعب المصرى الذى جرده حكامه الأتراك والمماليك من السلاح سيقف مكتوف اليدين ، سلبا ، يبارك للنتصر ويخضع له !!

واقرب عبد الستار من المعسكر . . وما هى إلا خطوات حتى كان بداخله . . إنه يتقدم إلى اللوت بقدميه ، بل إنه قاب قوسين أو أدنى منه إنه أمام واحد من حراس المعسكر قد تدثر بغليظ الملابس وثقل الثياب ، ليتقى لفحات البرد فى هذا الوقت المتأخر . . ورآه الفتى وتقدم منه ولولا غطيظ ثقل يصدر منه لحسبه عبد الستار تمثالا يحمل بندقية من خشب فى يده . . وراودت الصغير أتذ أكثر من فكرة ، أقتل الجندى بهذا الحجر المذيب القدى يجمع قبضته الصغيرة عليه ، منذ أن التقطه من أرض بعيدة عن أرض المعسكر ؟ أم يستولى على بندقيته ويقدمها هدية لوالده ؟ وكيف يقتله ولا سلاح معه إلا الحجر إن لم يؤد الحجر مهمته على خير وجه ؟ وهل تجهز ضربة واحدة من هذا الحجر الصغير على هذا الجسد الثقيل . . ؟

ثم إن بندقية واحدة لا تليق فى نظره أن تكون هدية . . بل لا بد أن يهدى أكثر من واحدة لأهالى بلدته . . وشخص بصره غير بعيد فرأى كومة من البنادق مجمعة متعاقبة متشابكة الأطراف واتجه الصغير إليها ، وفى حذر وتيقظ أخذ يلها ويجمعها ، ولكن كيف السبيل إلى حملها ؟ وفى حركة لا إرادية وجد نفسه وقد خلع ثوبه وأخذ يفتله بين

كفيه ، ثم أدخل طرفه الأول في سيور البنادق الجلدية وعقد نهاية الطرف الآخر على الطرف الأول ..

وحمل ما استطاع حمله .. وسار بحصيلته وهو ينوء بحمله .. أنفاس مهورة ، وقلب يدعو الله ألا تنطلق رصاصة تحول بينه وبين تقديم هذه الهدية الثمينة التي يحملها إلى أهله ووالده ، ومر مرة أخرى بجوار الحارس الذي ذهب غطيظه وتلاشى بعض الشيء في أصوات الريح الباردة .. وتقاربت خطوات الصغير .. وما أن صار منه غير قريب حتى أسرع يخب في سيره وجبينه يتفصد عرقا رغم برودة الجو !!

وفي المنزل وضع حمله .. والتقط أنفاسه ، وركن إلى الحائط يسند ظهره ؟ ليستريح بعض الشيء ..

ومضى يوم ..

وتبعه أيام ..

وفي ليلة هب الفرنسيون مذعورين من نومهم .. وغادروا مضاجعهم ، وفي أعينهم بقية من نعاس تثقل أطرافهم ، وتعمى عقولهم ، وتطيش صوابهم عن معرفة حقيقة الأمر ..

تلك الحقيقة التي لم يقبضوها إلا بعد أن اصطدم بعضهم ببعض .. وإلا بعد أن شاهدوا نيران الطلقات وسمعوا أزيز الرصاص يدوى في الجو ويرق أمام أعينهم ويردى البعض منهم .. وتأخذهم الحيرة ويستبد بهم العجب ، من يطلق ذلك الرصاص وأهالي القرية على مرمى بصرهم لا يكون طلقة ؟ من هو الذي تبلغ به الجرأة على مهاجمتهم وأهالي



القرية بجوارهم لم يروا منهم بادرة تمرد أو عصيان ؟ وليس لديهم جيش أو معدات ، وليست لهم خبرة بفنون الحرب وأساليب القتال ؟

وما أن هموا برد الاعتداء عليهم حتى وجدوا الطلقات قد سكنت وللهاجمين قد انسحبوا ، ولم يجدوا أثراً للمهاجم ، ولم يتركوا وراءهم ما يدل عليهم ..

وشغلهم عن الزحف إلى القرية والانتقام من أهلها احتضار ضابط كبير منهم قد اخترفت إحدى الرصاصات جسده فجعلته بين الموت والحياة .. واجتمعوا حوله .. يحاول أطباؤهم أن يعيدوا إليه دقائق الحياة .. واستخرجوا الرصاصة من جسده بعد أن خمدت فيه أنفاس الحياة وصار جثة لا حراك بها ولا حس .

وقال ضابط فرنسي في دهشة :

— عجباً ، إن هذه الرصاصة من ذخيرتنا .. رصاصة فرنسية مما نحمله معنا ، إنه لعار ما بعده من عار أن نقتل برصاصنا !!

— علينا أن نعيد توزيع الحرس ، وأن نعزز رجاله ، ونقرض حراساً متيقظين يحمون المعسكر ، ويصونون الأرواح ، ويبعدون كل من تسول له نفسه التلصص أو الاقتراب .

وانتشر الحراس الكثيرون في كل ركن من أركان المعسكر ينتظرون عودة المهاجمين . وطال بهم الانتظار بعد أن مرت أيام وليال لم يعتد عليهم أحد ، ولم يقبضوا على أحد .

وما منهم من الهجوم على القرية — بعد ذاك — إلا رؤيتهم لها

غارقة في الأمن والهدنة ، فأرادوا هم بدورهم أن يكسبوها ، ويخطبوا  
ودها — إلى حين — حتى تتعاون معهم ، وتقدم لهم بما يحتاجونه من  
خيرات الأرض .. ولكن أملهم لم يدم طويلا .. !! إذ تفقد بعض الجنود  
بنادقهم فلم يجدوها .. وبحثوا عن ذخيرتهم من الرصاص الحى فلم يعثروا  
لها على أثر.

وهب عديد منهم يصيحون :

أين بنادقنا ؟ هل ابتلعها الأرض ؟ هل اختطفها جان بعد أن غطى  
على أبصارنا ؟ ويجوبون أرجاء المعسكر باحثين منقبين معللين أنفسهم بشق  
التعلات .. ولم يعد هناك مجال للهدس والاقتراض بعد أن تقصت البنادق  
بشكل ظاهر ملموس وبعد أن زاد عدد المفقود منها .. لقد تيقنوا أنها  
عصابة ، فليس هذا عمل واحد ، بل عمل جماعة وعصابة ، لها مخطط  
مدروس ، و « تسكتيك » موضوع .. إنها عصابة ما في ذلك من شك !  
ولكن هل هي عصابة من الجن ، والأشباح غير المرئية تتسلل فلا  
يحس بها أحد ، وتأخذ من غير أن يشعر بها حارس أو رقيب ؟ !  
وأعدوا العدة .. ووضعوا المخططات ، لقع في قبضتهم هذه الجماعة  
المتديّة ..

ولم تصل أيديهم إلى شيء رغماً عن تربصهم كل ليلة لهذه القوة التي  
تخيلوا أنها تتسلل لمعسكرهم ، وتلم بنادقهم ، وتجمع رصاصها ..  
وفي كل ليلة كان الحراس يقفون مترقبين ، ليقبضوا على العصابة التي  
ظنوها ، ثم لم يكن يحظون في النهاية إلا بالسهر المتواصل .. ثم بالصمت  
الصمت للطبق المحيط بهم .. !!



والنجاح يدفع إلى النجاح .

ومادام « عبد الستار » قد راد الطريق من قبل . فلا بد أن يروده  
مرات ومرات وقبل أن يتنفس الصبح ، ويستيقظ القوم عاد مرة أخرى  
إلى المعسكر . . . عاد بمفرده . . . بعد أن أوصى والده ألا يخبر القوم بما  
صنع . . . وبعد أن أقنع والده أن من الخير لقومه أن يجهلوا الطريقة التي  
استحضر بها السلاح ، وما عليهم إلا أن يتدربوا على استعمال ذلك السلاح  
ومادام عمل الجماعة يقوم به فرد . . . ويؤديه بنجاح فليقم هو بمفرده بهذه  
المهمة ، ولينص في الطريق إلى النهاية . . .

ومرة أخرى . . . وبعزم أقوى ، وخطوات أثبت . . . وحذر أكثر  
تقدم عبد الستار إلى المعسكر ليعيد الكرة . . . وسرعان ما لمح أحد  
الحراس الفرنسيين ، فتعقبه . . . وتبعه . . . ورآه وهو يستريح حمى المعسكر  
ورآه وهو يتجه إلى السلاح . . . ورآه وهو يلمه ويجمعه وتطلعت عينا الفتي  
فجأة من خلال ما يحمل . . . فشاهد الحارس مقدما عليه . وأسرع إلى  
انتراع بندقية مما يحمل ليفرغ رصاصها في صدر الحارس إن استطاع ، فهو  
لم يتعود كيفية إطلاق النار منها من قبل . ولكن الحاجة تفتق الحيلة . . .  
إذن فليحاول . . .

وما أن رفعها بين يديه حتى أسرع الحارس إلى جذب سيف من  
منطقته وهوى به على ذراع الفتي فجرحه وأدماه وأسقط البندقية من  
يده ، وسال الدم غزيرا من ذراع فتانا وأطبق الحارس على الذراع  
الأخرى بقوة وساق الفتي إلى القائد الذي قال له :

— ماذا فعلت ؟

— لم أفعَل شيئاً غير ما يَملِهُ عليّ واجِبِي .

— أنتَ حدثَ صَغير لا يَعقل أن تقومَ بِهذا العملِ وحدَكَ ، فمنَ هم شركاؤُكَ ؟

— ليس لي شركاء إلا ما أملك من عزيمة ووطنية ، وإيمان بحق بلادِي في العيش الحر ، والحياة الكريمة .

— ما الذي دفعَكَ إلى هذا الصنيع ؟

— أن أريد من أرضنا الطاهرة مظاهر الدنس والرجس ، لتبقى بلادنا خالصة لنا ، لا يقامنا فيها شريك مستغل ، أو دُخيل مستذل .

— أصدقني القول خير لك . . من أمرك بهذا ؟

— الذي أمرني بهذا ربي ، وهو الذي أمر كل مجاهد قادر على حمل السلاح أن يشترك في هذه الحرب المقدسة وأن يدفع ضريبة الوطنية والدم قرباناً لحرمة بلده وكرامة أهله .

— من كنت تريد أن تقتل بهذا السلاح الذي خطفته ؟

— كل من أستطيع قتله . . ولو استطعت قتلك لفعلت .

بهت « ديزيه » ونفذ صبره ، وتصاعد الدم إلى وجهه وتطاير الشرر من عينيه وقال محتدّاً :

— سأُنزل بك الآن عقاباً صارماً يجبرك على الإفضاء بما تخفي ، ويحملك على الإفصاح عما لا تريد أن تبوح به .

— قبل أن تهددني بعقاب إليك رأسي فأمر بقطعه .



— ألا تخشى شيئاً ؟

— إن من يقدم رأسه لا يضيره ما سينزل به .

وتحير « ديزيه » فقير من لهجته ، ولجأ إلى سلاح الإغراء والملاينة لعله يقلّ حدة هذا الصغير ، أو لعله يجدى ويؤثر في نفسية هذا الغلام ، فقال :

— أنا أعلم أنك صغير لا تدري عاقبة ما فعلت ، وسأعفو عنك . . بل سأعطى لك كل ما تطلب ، وسأمنعك كل ما تريد . . وهذه نقود ملك منها ماشئت وأكثر . . خذ . . خذ منها ما تريد . . بل خذها كلها . وقلب بين كفيه نقوداً تماوجت فكان لها رنين ولمعان . .

ونظر الغلام نظرة احتقار إلى كفى ديزيه المملوءتين بقطع النقود . . ثم رفع بصره الناري وصوبه إلى ناظري « ديزيه » وقال في ثبات .

— دعوا النقود لكم ، فلا أطلب إلا رحيلكم عن أرضى وجلاءكم عن وطنى .

ورأى « ديزيه » أنه أمام شخصية قوية ، وعقلية تكبر عمرها بكثير لا يثنىها وعد ولا يخيفها وعيد ، شخصية صلبة فلا بد أن يلينها بصارم العقاب .

أراد أن يهزّ تلك النفس ، وأن يمت صاحبها موتاً بطيئاً ، لهدم هذه القلعة المنيعه التى تفيض عزّة وشموخاً وكرامة . . ويهدم ذلك الحصن المنيف حجراً حجراً بدلا من أن يبيده فى لحظات ، ليشقى غليله . .

وأمر جنده أن يكشفوا ظهر الصبي . . وسرعان ما جردوه من

ملابسه إلا من سرواله . . ثم أمر بإحضار السوط . . سوط ذى ثلاث  
شعب جلدية رفيعة الطرف غليظة الساق . .

وتقدم الجلاد الفرنسى يحمل السوط ويطرق به فى الهواء ، فيسمع  
لها صدى مخيف . . وأخذ يقترب فى خطوات ثقيلة نحو الصبي  
الثابت الصابر . .

ونظر « ديزيه » إلى الصبي لعله يسمع منه معذرة . . أو يرى فى عينيه  
نظرة تضرع أو ندم ، أو تند منه صيحة فزع وجزع .

وجن جنونه عندما رأى أمامه شخصاً يملك جأشه ، ويضغط على  
أسنانه ليثد صيحة قد لا يحتملها فؤاده ، أو لا يقوى على كتبها جناحه .

وهوى أول سوط ، والتفت شعبه فى قسوة حول الجسد الصغير . .  
وتتابعت الضربات . . واهتزت يد الجلاد . . وصمد الجسد الصغير . .

وارتفعت حواجب الجنود دهشة . . وارتسمت على وجوههم آيات  
العجب وهم يرون أثر السوط على الجسد وصاحب الجسد جامد كالطود . .

ثم كلت يد الجلاد بعد ما ظل يهوى بالسوط فى ضربات شحومة مجنونة  
بلغت الثلاثين . . ولم يصرخ الصبي . . ولم يبك . . ولم يرتفع له صوت من  
نشيح . . ولم تتحرك فى جسده جارحة ١١ أية قوة هذه التى تسكن فى هذا  
الجسد الصغير ؟ ١٠ . . وأية عزيمة يتحصن بها هذا الصبي ؟ ٩ لقد بهرتهم  
قوة جسده وشدة تحمله ، بعد أن بهرتهم ذلاقة لسانه ، وبلاغة منطقته . .  
إنهم أمام معجزة . . أمام أمر خارق على غير ما اعتادوا ، وعلى خلاف  
ما ألفوا ...



ولكنهم ما دروا أنهم في أرض المعجزات . . أرض الشرق مهبط  
الرسالات ، ومنبع العقيدة والوطنية والمبادئ والقيم .

إنها البطولة العربية والوطنية المبكرة ، والنفس التي لم تتلوث  
أو تتلون . . النفس التي رضعت لبان العروبة الحقة ، وتغذت برفيع المثل  
وكريم الأخلاق .

إنه نبت قوى أنبته أرض القطر المصري لا تزعزعه أعاصير عاتية  
أو رياح هوجاء . . إنه غصة تعترض حلق كل معتد أو غاصب .

إنه لغز من ألغاز الشرق . . وروح من روحانيته . . وأنى للغرب  
أن يحسها أو يعيشها ، وهو الذي جرفه طوفان المادية والأنانية فأبعده عن  
الروحية والمثالية ! ! .

وانهارت المادية الغربية وتهاوت أمام الروحية الشرقية فلم يكن بد أمام  
ديزيه إلا أن يطلق سراح البطل المصري الصغير . .

وعز على القائد أن يستسلم هكذا أمام هذه الطفولة . . وكبر عليه أن يلقي  
سلاحه . . ولكن ماذا يفعل بعد أن سد عليه المصري للمسالك والسبل ؟

هل نقد كل ما في جعبته من وسائل التعذيب والتشفي والانتقام ؟ !

إن هذه الشياطين لم تشف غليله ! ! فلا بد من انتقام آخر . .  
انتقام سريع .

وانطلق « عبد الستار » موليا وجهه شطر قرية يسير بخطوات  
ثابتة ، وقامة منتصب ، ورأس شامخ ، وبجوار أذنه مرقت رصاصة  
أطلقها « ديزيه » لعلها تحطم كيان الصغير ، وتهز بنيانه ، فتشفى غليل  
القائد والذين من حوله ! !

وكانت هذه الرصاصة آخر سهم يطلقه القائد من جعبة حيلته وانتقامه ..  
ومرقت الرصاصة واستمر الفتى في سبيله .. وعلى الطريق خطواته  
الثابتة ، لم يطلق ساقيه للريح في وجل أو ذعر .. ولم يصرخ .. ولم  
يفزع .. ولم يلتفت إلى الخلف .. لم يعبأ بالرصاصة تترى بجدار أذنه ،  
وكأنها في نظره . حشرة تافهة حقيرة لا خطر لها ولا أثر ..

وهكذا المؤمن لا يعرف الخوف لأن الله يحميه ..

وظل يسير ويبتعد في سيره عن أنظارهم حتى ابتلعت طرقات القرية ..  
وتتم « ديزيه » رغماً عنه بقوله :

— ما أروع الروح المصرية ممثلة في هذا الفتى المصرى الصغير ، وما  
أروع الوطنية الحقة مجسدة في هذا الصبي الذى لو أحسن تربيته وتوجيهه  
وتعليمه لفرض نفسه على الزمن ، ولكان شخصية عالمية يدون التاريخ  
سيرتها بفخار وإكبار .





ولم يتحدث التاريخ بعد ذلك بشيء عن هذه الشخصية المصرية . .

تلك الشخصية الفدائية سليمة الفدائيين العرب الذين أحبوا الموت كما  
أحبوا الحياة ، الذين فعلوا الأعاجيب ، وصنعوا المعجزات ، فعبروا الأنهار  
واقحموا الخنادق . . وهرقوا في حصون الأعداء ينقبونها ويفتحون  
بشجور بها يمرق منها زملاؤهم . . ولم ينتظروا على ما فعلوا جزاء  
ولا شكورا .

وسليمة الفدائي العربي « البراء بن مالك » الذي اعتلى سور حديقة  
الدعي « مسيلة » الذي زعم كاذبا أنه نبي من عند الله . . وفتح « البراء »  
بابها فدخلها المسلمون وأجهزوا على المتنبئ الكذاب ، وقضوا على دعوته  
بعد أن قضوا على أشياعه وأتباعه . .

وسليمة البطل الفدائي « الزبير بن العوام » الذي تسور حصن  
« بابليون » عندما قضى العرب على الاستعمار « الرومي » في أرض  
مصر الطاهرة .

ومن سلالة ذلك الجندى العربي الفدائي الذي كان تحت إمرة القائد  
« مسلمة بن عبد الملك » والذي بات وحده يحرس تقيا في سور الأعداء  
أحدثه المسلمون . . ثم خيم الظلام وعوت الرياح . . وأظلمت الدنيا . .

وكان هناك ساعدان قويان يعملان بهمة وحماسة لتوسيع الثغرة  
وهدم السور . .

وانجلى الفجر . . وهذا المول . . وأصبح المسلمون فوجدوا النقب  
قد اتسع فتمكن الجيش الإسلامى من الدخول منه مما أدى إلى  
سرعة انتصارهم

ولما انجلى المعركة نادى القائد مسلعة فى رجال جيشه :

— من صاحب ذلك العمل ؟

وانتظر برهة ، ولم يجبه أحد ، ولم يخرج إليه من الصفوف أى جندى.  
وأعاد القائد نداءه مرة وأخرى من غير ما جواب .

وبدت أمارات الدهشة والعجب على الوجوه جميعها ، وأردف  
القائد العربى :

— أنا أعلم أن صاحب هذا العمل شجاع ، لا يبتغى لنفسه أجراً  
ولا ذكراً ، وأعلم أنه ما قام بما قام به إلا بدافع من بطولته وشمه وعزته  
وعزمه ، واستجابة لشجاعته ونزعة الدينية ، وأنه لم يقم بما قام به إلا تقرباً  
لربه ، وإنتى أحترم كل هذه المعانى التى دارت فى نفسه ، وليس لى من  
رجاء تجاهه إلا أن يقدم لى نفسه فى أى وقت يشاء .

ومرت ليلة وتبعثها ليل ..

وجاءه فى أمسية من الأمسيات رجل قال له :

— أنا أعرف صاحب النقب ، لكنه يشترط عليك شروطاً .  
الا تخبروا أحداً باسمه ..

والأ تذكروا اسمه في صحيفة إلى الخليفة أو غيره ..

والأ تسألوه عن اسم أبيه أو اسم قبيلته ..

والأ تأمروا له بمكافأة ١١

ولما استجاب القائد لكل هذه الشروط ، وأعطى وعداً بتحقيقها

قال له الرجل :

— أنا صاحب النقب ١١

ثم انصرف مسرعاً ..

وازداد الرجل إكباراً في عين القائد العربي الذي همس في خشوع :

« اللهم اجعلني مع صاحب النقب »



ولا غرو أن رأينا بعد ذلك كله . في عهد انتفاضتنا الحالية وثورتنا القومية الواعية آيات من هذه الفدائية المصرية التي كتبت على أرض اليمن السعيد أروع صفحات النضال ضد قوى الغدر والرجعية ، وفلول الملكية البائدة من أسرة حميد الدين ، وأكدت للعالم أجمع أن فدائي الجمهورية العربية المتحدة وأبطالها قادرون على حماية ثورات الشعب العربي في أى مكان من الأمة العربية بعد أن قضوا على أرض اليمن الثأر مائتي يوم أدوا خلالها رسالتهم على خير وجه ، وقاموا بواجبهم الوطنى المقدس ، مقدمين أرواحهم على أكفهم ، باذلين دماءهم وأنفسهم رخيصة في سبيل نصرته للشعب اليمنى الحر وفي سبيل التمكين لإرادته وحقه المشروع في الحياة الحرة العزيزة .

لقد كتب فدائيو الجمهورية العربية المتحدة على أرض اليمن وفي سهولها ووديانها وفي جبالها ووهادها أروع صفحات التضحية والفداء ضد القوات المعادية للحرية اليمنية تلك القوات التى كانت تريد أن تئد الحرية اليمنية وأن تقف فى وجه المد الثورى ، مما أجبر الضمير الإنسانى أن يكبر بطولاتهم وبما جعل العالم كله يتحدث عن خوارقهم ومعجزاتهم . . كتبوا بأعمالهم المجيدة وخطوا بدمائهم الزكية على أرض مأرب ، وصرواح ، وصعدا ، ورأس العرقوب آيات كفاح وعزة مستظل تدوى فى أذن العالم شاهدة على النبل والشرف والعزة والإباء والشهامة والنجدة نجدة العربى لأخيه

العربي عندما يتعاونان على الإبادة والتبديد .. إبادة الظلام وتبديد أنصاره  
وحواريه ..

ولقد وجه إليهم رئيسنا جمال عبد الناصر خطاباً في عيد النصر  
العاشر قال لهم فيه :

« أيها الرجال البواهل ..

ولقد كانت أمتكم كلها يوم احتفالها بعيد النصر العظيم ، تتطلع إليكم ،  
وأنتم تؤدون واجبكم المقدس في اليمن دفاعاً عن التاريخ العربي وعن  
المصير العربي .

إن الجماهير الضخمة التي التقيت بها يوم النصر في بور سعيد .. كذلك  
كل جماهير أمتنا العزيزة العظيمة التي كانت تتابع يوم الذكرى الخالدة في  
بور سعيد عاشت كلها معكم : إيماناً بالرسالة التي حملتكم إلى أرض اليمن  
الثائر ، وتقديراً للعمل الذي قتم به في شجاعة وإنكار للذات في خدمة  
الرسالة . وإعجاباً بالنصر الذي حققتموه في ظروف عصية عسيرة .

لقد انتصر بكم الحق العربي ..

وانتصرت بكم الثورة العربية طلباً للحق ..

وانتصر بكم الإنسان العربي في اليمن طالب الثورة من أجل الحق » .:

وشعور الأمة العربية تجاه فدائيتها ، وتجاه الصفوة الخالصة من  
رجالها هذا الشعور عبر عنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر يوم إعلان  
قيام الدولة الاتحادية الكبرى بين مصر وسوريا والعراق في رسالة وجهها  
إلى أبطالنا في اليمن قال فيها :

« ولست أظننا جميعاً في حاجة إلى أن تنتظر يوم كتابة التاريخ ؛  
لكي نقرر أن الحركة الباسلة والمتصرة التي خاضتها قوات الجمهورية  
العربية للتعبدة في اليمن جنباً إلى جنب مع جيش اليمن الثأركانت نقطة  
التحول الحاسمة في حرب عنيفة ضارية خاضتها الأمة العربية كلها ضد  
الاستعمار والرجعية .

ولقد جاءت معركتكم في وقت ظن فيه أعداء الأمة العربية أن  
زمام المبادرة في أيديهم ، بعد نكسة الاتصال وجريمته ، لكن شجاعة  
الرجال البواسل تحت أصعب الظروف وأكبرها مشقة قبلت التحدي ،  
وأثبتت قدرتها على انتزاع النصر ، وانتزاع زمام المبادرة في نفس الوقت  
من أعداء الأمة العربية ، وتسليمه في تواضع رائع وإنكار للذات أصيل  
إلى جماهير الأمة العربية ، تواصل بعده صنع القدر بإرادة الله . . وترفع  
أعلام القومية العربية ، والوحدة العربية فوق بغداد ودمشق ، وتعيد أمل  
الوحدة إلى مكانه العزيز من حركة التقدم العربي الثورية .

وإني لأعرف عن يقين شعور الأمة العربية كلها تجاه هذه الصفوة  
من رجالها الذين رفعوا مشاعل النور على أعلى الدرى في اليمن ، والذين  
جادوا بالدم الزكي ؛ لكي تبقى شعلة الحرية التي أضاءت في صنعاء في فجر  
السادس والعشرين من سبتمبر الماضي بثورة شعب اليمن وجيشه ضد  
الطغيان والتخلف .

أعرف عن يقين أن الأمة العربية كلها تحتفظ لهذه الصفوة من رجالها  
البواسل بالحب والعرفان من أعماقها أن حققوا بالشجاعة إرادتها ،  
ومكنوا بالتضحيات ليوم نصرها الأكبر .



وفي اللحظة التي كان لي فيها شرف التوقيع على إعلان الوحدة فلقد  
كانت خواطري كلها هناك مع الضباط ، وصف الجنود في اليمن  
في الأسلحة المقاتلة على البر وفي الجو وفي البحر .

لقد كانوا هم في خواطري وخواطير أمتنا العربية الخالدة ، وجنود  
الوحدة وأبطالها لقد ذهبتم جميعا وفوق رؤوسكم علم وطنكم الصغير . .  
وها أنتم بعد النصر تبدءون رحلة العودة إلى الوطن وفوق رؤوسكم  
علم النجوم الثلاثة .

التهنئة لكم يا رجال أمتكم البواسل . .  
يا طليعة تقدمها المجيد .

يا جنود الثورة العربية الشاملة من أجل الإنسان العربي الحر . . »



# لجنة

## اخترنا للجنة

العميد: سيد عبد الحميد مرسي

القيداء: عبد الغني فرحات

محمد عطأنا، نقر اللجنة

اليوم: محمود طنطاوي



أسماء وأرقام الكتب التي صدرت من سلسلة  
اخترنا للجندى

الترتيب	العدد	اسم الكتاب
١	الأول	الجندية في ظل الميثاق
٢	الثاني	مكاسب الجندى الاشتراكية
٣	الثالث	خواطر عن الحرب
٤	الرابع	جيشنا الوطنى بين الماضى والحاضر
٥	الخامس	مخالد بن الوليد
٦	السادس	لماذا يخاربتنا
٧	السابع	الابرة والصاروخ
٨	الثامن	الدور الخطير
٩	التاسع	فتح مكة
١٠	العاشر	إسرائيل وكيف خلقها الاستعمار
١١	الحادى عشر	لماذا أنت جندى ؟
١٢	الثانى	الثائر العربى ( عبد الرحمن الكواكبي )
١٣	الثالث	قناتنا عادت إلينا
١٤	الرابع	فداء . . قصص قصيرة
١٥	الخامس	أحاديث في الحرب
١٦	السادس	انتصار ثورة اليمن

العدد	اسم الكتاب	العدد
١٧	السابع عشر	للهارده حاجة ثانية
١٨	الثامن	قواتنا المسلحة : القوة الأولى في الشرق الأوسط
١٩	التاسع	أحداث الجهاد والفروسية
٢٠	العشرون	رسالة الاتحاد الاشتراكي العربي
٢١	الواحد والعشرون	لنا... ولمن حولنا
٢٢	الثاني	غزوة بدر من أمجادنا العربية
٢٣	الثالث	الثورة الاجتماعية والميثاق
٢٤	الرابع	دروس المقاومة في غزوة الأحزاب
٢٥	الخامس	هؤلاء أعداؤك
٢٦	السادس	دمياط وكفاحها ضد الاستعمار
٢٧	السابع	الأرض
٢٨	الثامن	لماذا أنا جندي
٢٩	التاسع	من روائع التاريخ العسكري العربي
٣٠	الثلاثون	بطولات طائفة
٣١	الواحد والثلاثون	كلهم أبطال ( قصص من الحرب )
٣٢	الثاني	معركة النضال
٣٣	الثالث	وحدتنا العربية
٣٤	الرابع	الجمهورية العربية المتحدة في المجال الدولي
٣٥	الخامس	صفحات من بطولة الجيش العربي
٣٦	السادس	عودة الأبطال من اليمن

العدد	اسم الكتاب	العدد
٣٧	السابع والثلاثون	صور قومية .
٣٨	الثامن	من بيت الطين إلى المعمل الذرى .
٣٩	التاسع	من أجل السلام
٤٠	الأربعون	أفريقية في طريق الوحدة
٤١	الحادى والأربعون	مذكرات جندى عجوز
٤٢	الثانى	وطننا الكبير
٤٣	الثالث	صهيونية تدق أبواب أفريقيا
٤٤	الرابع	إقامة جيش وطنى كبير
٤٥	الخامس	طرائف عسكرية
٤٦	السادس	
٤٧	السابع	
٤٨	الثامن	
٤٩	التاسع	
٥٠	الخمسون	
٥١	الحادى والخمسون	
٥٢	الثانى	
٥٣	الثالث	
٥٤	الرابع	
٥٥	الخامس	
٥٦	السادس	









مطابع الدار القومية للطباعة والنشر  
ت : ٤١٠١٣ - ٤٠٧٥٣ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨

2.03  
29sh



0528202

التمن ٤ قروش

العدد ٤٦